ISSN30095034/ N° Press 26/2020ص confer.atae@gmail.com

البحث التدخلي مدخل لتعزيز مهارة "تبصر الممارسات المهنية": دراسة لتمثلات ومواقف المدرسين الجدد

د. محمد الريمي [1]

الملخص

يتناول هذا المقال مفهوم **التبصر** في الممارسات المهنية للمدرسين الجدد، ويسلط الضوء على أهم **المداخل** والمقتربات لتطوير هذه المهارة الحيوية. انطلاقا من دراسة تشخيصية لحضور الأبعاد التبصرية في الممارسات المهنية، يقترح المقال جملة من المداخل لتطوير الحس التبصري لدى المدرسين الجدد، من قبيل. تأمل الممارسات، الارتقاء المهني، التغذية الراجعة، التعاون المهني، استثمار النتائج الدراسية، التعليم الإبداعي ...

ويخلص إلى أن تطوير مهارات التبصر لدى المدرسين الجدد يتطلب حسا تطويرا وقدرة على النقد الذاتي وابتعادا عن التقليد والنمطية، كما ينبه إلى أن الارتقاء بنجاعة البحث التربوي يتوقف أساسا على تكوين مدرسين يتمتعون بعلو الباعث و الرسالية و يمتلكون الكفاءة والروح الإبداعية.

كلمات مفتاحية: التبصر، البحث التدخلي، الممارسة المهنية، الارتقاء المهني

[1] باحث في الخطاب وديداكتيك اللغات، مختبر اللغة والمجتمع -جامعة ابن طفيل – القنيطرة ،الهاتف 0661295419، Rimimiri1@gmail.com

ISSN30095034/ N° Press 26/2020ص confer.atae@gmail.com

La recherche interventionnelle: une entrée pour renforcer la réflexivité sur les pratiques professionnelles

Étude des représentations et attitudes des nouveaux enseignants

Dr. Mohammed RIMI

Résumé

Cet article explore le concept de la réflexivité dans les pratiques professionnelles des nouveaux enseignants, en mettant l'accent sur les principales approches et suggestions pour développer cette compétence essentielle. L'article se concentre sur plusieurs aspects, notamment la réflexion critique, le feedback, la collaboration professionnelle, l'exploitation des données pédagogiques, et l'enseignement créatif.

Il conclut que le développement de la réflexivité chez les nouveaux enseignants nécessite un esprit d'engagement, tout en améliorant la qualité de l'éducation par des pratiques pédagogiques créatives.

Les mots clés: réflexivité, recherche interventionnelle, pratique professionnelle, ascension professionnelle

ISSN30095034/ N° Press 26/2020ص confer.atae@gmail.com

مقدمة:

ظل المدرس يشغل في تاريخ الحضارات ومخيال الشعوب رمزية مُميزة، فهو ِحامل مشعل التربية وموقد الوعي في العقول وباعث الهمة في القلوب وقائد مسيرات التنوير. وحتى تحفظ أجيال المدرسين الجدد هذا الرصيد الإنساني وتصون ذلك الرأسمال الرمزي، وجب أن تتوثق صلاتهم بمحاريب المعرفة وتتوطد روابطهم مع منابع امتلاكها ومظان نيلها ، وحيث أن **الممارسة المهنية المتبصرة** قد تصير مصدرا مُلهِما للمعرفة البيداغوجية ويضحى معها الاشتغال **الميتابيداغوجي** وظيفة محورية للفاعل التربوي ، فقد بات من المُلحّ الإلماع إلى دور الوظيفة التبصرية في الارتقاء بالممارسة البيداغوجية وتملك أدوات تحليل المعطيات الصفية الناجعة analyse des données probantes »[1] ، وهي – لا شك- مداخل محورية في الارتقاء بكفاءة المدرسين وتطوير مهاراتهم وإحداث التغيرات الأساسية في النهوض بالأنظمة التعليمية ، سيما في البلدان النامية ذات الأنظمة التربوية التي لا زالت تعاني انكماشا في الأداء وتعثرا في المردودية وقصورا في الوظيفية من نظير منظومتنا التربوية :

فكيف يمكن أن يشكل تدريب المدرسين الجدد على تبصر ممارساتهم البيداغوجية، مدخلا لتحقيق النجاعة في الأداء ومقتربا في الارتقاء بجودة منظومة التربية والتكوين؟

لمقاربة هذا السؤال المركزي نتقدم بالأسئلة الفرعية التالية:

-ما مستويات حضور "تبصر الممارسات المهنية ضمن الأدبيات التربوية والوثائق المؤطرة للممارسة التربوية؟

-كيف يتمثل المدرسون "تبصر الممارسات البيداغوجية" وما علاقتها بمشروع البحث التدخلي الذي ينجزونه خلال فترات التكوين بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين؟

-ما هي المداخل والمقتربات العملية لتطوير المهارات التبصرية ودمجها ضمن السلوكات الاعتيادية للمدرسين والمدرسات؟

[1] Clermont Gauthier, Steve Bissonnette et Jean-Marie Van der Maren, La pertinence de l'utilisation des données probantes en éducation à la lumière des rapports théorie-pratique, Manuscrit non publié, Université TÉLUQ,Département Éducation https://rlibre.teluq.ca/3064/1/V18Article%20TP%20et%20donn%C3%A9es%20probantesCGSB_.pdf

1- حضور الأبعاد التبصرية في الخطابات المؤطرة لمنظومة التربية والتكوين بالمغرب

في ظل سياقات عولمية وسوسيوثقافية متحولة كان من نتائجها الأساس حدوث تغيرات جذرية في أنماط الحياة ومنظومات القيم تحولات عميقة على مستوى صياغة المواقف وبناء الاتجاهات ،تحولات وتغييات كان من نتائجها أن وُضعت منظومات التربية و والتكوين في مواجهة تحديات متجددة وأسئلة حارقة ، وبدت معها الحاجة ملحة إلى اطلاق ديناميات بحثية ومشاريع فكرية لاستيعاب التأثيرات العميقة والمتسارعة لهذه التحولات على المجتمعات والأفراد ، ومن تم إيجاد براديغمات تفسيرية ومقتربات منهجية لمقاربة لتحليل هذه الظواهر ، ومن تم إيجاد بدائل ومداخل ملائمة للحد من هذه التأثيرات وتوجيهها لإعادة صياغة مشاريع إصلاح جادة وناجعة ومستديمة تضمن للأنظمة التعليمية المرونة اللازمة والجودة المطلوبة والتطوير المستمر .

وحيث أن البحث العلمي وتحليل الممارسات البيداغوجية واستلهام النماذج الفعالة، يشكل ركيزة الأنظمة التربوية ومقوم الاستمرار والحياة فيها ولأن التعليم يشكل المحور الرئيس في هذه المنظومة، فإن منظومة التربية والتكوين بالمغرب لم تشكل نشازا عن هذه الدينامية ، ولم تستبعد هذه الرهانات أو تتغافل عن هذا التأثيرات ، بيد أنه ورغم كثرة الإنتاجات التربوية والمبادرات البحثية، ورغم وجود كفاءات بحثية عالية المستوى بارزة الحضور في المنتديات الوطنية والدولية ، فإن البحث التدخلي وتوجيه الفاعلين التربويين إلى تبصر الممارسات البيداغوجية ، ظل محدود المدى وضعيف الأثر، تغييب عنه المأسسة والتوطين ويغلب عليه الطابع الفردي والمبادرات الذاتية وتحكمه المشاريع الموجهة والمنطق الانتفاعي كما افتقر إلى الإسناد المؤسساتي والدعم المادي والتحفيز الرمزي وهي مقومات أساسية لتطوير الإنتاج التربوي وحفز المبادرة والإبداع [1].

بالمقابل تسجل مجموعة من التقارير الرسمية وغير الرسمية أن البحث التربوي بالمغرب يفتقد الرؤيا الموجهة والتصور الشمولي والمؤسسات المحتضنة[2] ، إذ على امتداد مسارات الإصلاح المتعرجة والتي عرف فيها الاهتمام بالبحث التربوي عموما والبحث الإجرائي على وجه الخصوص انحسارات كبيرة وغيابات متكررة ، حيث تحيل أدبيات تاريخ الإصلاح أن هذا الاهتمام لم يظهر بشكل رسمي وصريح إلا مع الميثاق الوطني للتربية والتكوين الذي اكتفى بالدعوة إلى إرساء **هياكل** البحث التربوي على مستوى منظومة التربية والتكوين والذي ترجمته المذكرات المتلاحقة التي اختزلته في تدبير الممارسات البحثية على مستوى المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين من قبيل المذكرة رقم 179 في يوليوز 2009[3]، ثم المذكرة رقم 015*19[4] في فبراير 2019، والتي دعت إلى إحداث

1 حنان الغوات، "واقع البحث العلمي ومشكلاته في الوطن العربي - نموذج المغرب" ضن مجلة البحث العلمي في التربية، المجلد 19،العدد17،ديسمبر 2018.

2 الهيئة الوطنية لتقييم منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي،البحث العلمي والتكنولوجيبالمغرب: تحليل تقييمي، منشورات المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، 2022

3 المذكرة الوزارية رقم 179 بتاريخ 23 دجنبر 2009، في موضوع: إرساء بنيات البحث التربوي على مستوى منظومة التربية والتكوين.

4 المذكرة رقم 19015 بتاريخ 04 فبراير 2019 في موضوع: تنظيم البحث العلمي في المجال التربوي بالمراكز الجهوية لمهن التربية

وحدة مركزية للبحث التربوي بمستوى مديرية وإنشاء المختبرات الجهوية للبحث التربوي، فضلا عن إصدار الإطار المرجعي للتجديد التربوي في يونيو 2021 انتهاء بإصدار كراسات متضمنة لمواضيع البحث التربوي ذات الأولوية . وقد حمل القانون الإطار 17/51 مجموعة من التدابير والتوصيات للنهوض بالبحث العلمي سيما في شقه الإجرائي ، من قبيل : تحسين جودة البحث العلمي - اعتماد معايير وطنية لجودة البحث وحفز الابتكار والتميز- إنشاء مجلس وطني للبحث العلمي يهدف إلى التنسيق بين المؤسسات التعليمية ومراكز البحث- تعزيز الشراكات بين القطاعين العام والخاص من خلال إبرام اتفاقيات تعاون مع الشركات لتطوير المشاريع البحثية وتطبيق نتائجها- تعزيز التعاون الدولي مع مؤسسات بحثية عالمية-زيادة التمويل للبحث العلمي- تطوير القدرات البشرية من خلال برامج تكوينية متقدمة تهدف إلى تعزيز المهارات البحثية والتقنية للباحثين. التسريع في ولوج عالم الرقمية عبر تطوير منصات إلكترونية تسهل تبادل المعلومات والأبحاث، وتحديث أنظمة إدارة البيانات لتيسير الوصول إلى المعلومات ونشر النتائج العلمية..

بيد أنه ورغم هذه التدابير والتوجيهات، فإن البحث العلمي وخاصة في بعده الاجرائي ظل متواضعا ولم يصل بعد إلى مستوى التراكم الكمي والزخم النوعي الذي يجعل منه- بحق- رافعة حقيقة للنهوض بالمنظومة وتحقيق جودة الأداء ونجاعة الفعل التربوي، كما أنه لم يصل بعد إلى تركيز الاهتمام والتفكير والفعل على المدرس : الفاعل الميداني ، لنقله من مجرد ممارس تطبيقي يشتغل على تنزيل البرامج والمقررات وفق كيفيات منهجية وتحديدات زمنية وموضوعية محددة سلفا ، إلى **فاعل بيداغوجي** ،**و متبصر** تربوي ،ومنتج للمبادرات، مدرس متأمل في الممارسة ،مستكشف للبدائل ،مجدد في الوسائل والمنهجيات والمقتربات.

2- "تبصر الممارسات البيداغوجية" دلالات المفهوم و سياقات التنزيل

يكتسب مفهوم "تبصر الممارسة البيداغوجية " معناه وجدواه من طبيعة الإشتراطات التي تفرضها التحولات المتسارعة والعميقة في مجال الكفايات و المهن حيث صار لزاما على المشتغلين في حقول التربية والتكوين – على وجه التحديد- الاشتغال العميق والمتواصل على تطوير مهاراتهم وتحيين مكتسباتهم ومواءمة كفاياتهم مع الحاجات الجديدة والانتظارات المتجددة لمتعلمي القرن الواحد والعشرين وملاءمتها مع طبيعة التحديات الثقافية والقيمية والمعرفية التي أفرزتها سياقات ما بعد الحداثة .

لقد استأثرت قضية ربط التكوين والبحث التربوي بالممارسة الميدانية بانشغالات الباحثين والمهتمين بتطوير الأنظمة التربوية والارتقاء بجودتها، لا سيما بعد الانتقادات الحادة التي توجهت للأنظمة الكلاسيكية في تكوين المدرسين وبعد توجه العلوم الإنسانية وعلوم التربية نحو الممارسات الملموسة ونحو البناء الاجتماعي للواقع.

وأيضا بعدما تجاوز البحث في ميدان التكوين الاهتمام بالمعارف النظرية المؤسسة للفعل المهني إلى الفعل ذاته[1]. وقد ساهم هذا التحول في نقل تكوين يرتكز على تقديم المعارف التربوية وإكساب الخبرات المنهجية إلى تأهيل مُمَهْنِنٌ يحقق الانغماس المهني المبكر ويساعد الممارسين على التفاعل الحي والمبدع مع الوضعيات المشكلة الصاعدة من الفصول الدراسية ، كما يساعد أجيال المدرسين الجدد على تملك مهارات التأمل النقدي والتفكير الإبداعي و التشبع بقيم التكوين الذاتي و التعاون المهني والتطوير المستمر للتجربة المهنية .

وفق هذا المنظور يكتسي **البعد التبصري** في الممارسة البيداغوجية أهمية قصوى في تحقيق الارتقاء المهني وتطوير الممارسات التربوية وجعلها ممارسة ديناميكية ومنفتحة، متجددة ومبدعة. وهو ما تلخصه القاعدة الذهبية في تاريخ علم التدريس " **عندما ندرس فإننا نتعلم مرتين** ". حيث تُعتبر أعمال المربي الأمريكي جون ديوي John Dewey سنة 1904 من الالتفاتات المبكرة لهذه القضية والتي تم تطويرها من قبل أرجيريس Argyris سنة 1974، ليتم تعميقها مع **شون** سنة .1983، وقد ركزت هذه الأبحاث جميعها على فكرة أن "تطور الممارسة التبصرية تستند إلى قدرة الأشخاص على تطوير رؤية تأملية حول أفعالهم المهنية ، حيث ينظر إلى الممارسة التبصرية باعتبارها تأملا عميقا ورجوعا إلى الذات ينجزه الممارس البيداغوجي أثناء انخراطه في الفعل التعليمي ثم بعد اتخاذه مساحة ابستمولوجية إزاء فعله التربوي ، بحيث تمكنه هذه العملية من الفهم الدقيق للممارسة وإنجاز تقييم موضوعي وعميق لها ، ثم تكييفها وتطويرها لبناء وضعيات جديدة أكثر نجاعة وفعالية 2.

لقد أضحى تمكين المدرسين من امتلاك الحاسة التبصرية -أو الجهاز التبصري- واحدة من حاجات التربية الحديثة ومطلبا ملحا لأنظمة التكوين والتأهيل ، فالمدرس(ة) الناجح هو الملم بأبعاد الممارسة الصفية ومعايير تحليلها، القادر على تقديم التغذية الراجعة المناسبة والآنية لممارساته ، وهو – أيضا- المتسلح بعدة منهجية وخلفية نظرية وقناعات أخلاقية تمنحه الإرادة والقدرة والكفاءة على بناء تقويمات داخلية وخارجية وإنجاز خطط إجرائية بديلة لتصحيح مساراته الصفية واختياراته المنهجية ومواقفه التربوية.

إن مفهوم "**المهننة** professionnalisme" الذي تتبناه منظومات التربية والتكوين يقتضي الانتقال بأجيال المدرسين إلى الأبعاد الاحترافية في الممارسات البيداغوجية من خلال تحقيق شرطي الاندماج الشعوري في المهنة والكفاءة العالية في أدائها ، وهما شرطان لازمان لتأهيل الفاعلين(ات) التربويين، ولا سبيل إليهما إلا من خلال

1- رشيد بوسعيد وخالد الدهيبة، البحث الإجرائي، ج4،ضمن سلسلة المجزوءات المستعرضة لدعم التكوين من أجل تعلم فعال .مراجعة عبد القادر زكي وميلود احبدو ، منشورات الوحدة المركزية لتكوين الأطر، نونبر2011.

2 Ahaji khalid, et autres, « Le développement professionnel des enseignants, dossier rôles et missions d'enseignant » Cahiers de l'éducation et de la formation, N°8-9, publication de conseil supérieur de l'enseignement, 2013, p 56-58

ISSN30095034/ N° Press 26/2020ص confer.atae@gmail.com

تدقيق المواصفات و تحديد الأدوار و بناء تعاقدات حول القيم المهنية والسلوكات المنتظرة التي تستجيب لمتطلبات الجودة و تحقق انتظارات المجتمع[1]

3- تبصر الممارسة المهنية من خلال تمثلات ومواقف المدرسات والمدرسين

تحيل التمثلات على مجموعة من المعارف والموارد و المعطيات الأولية حول موضوع معين خارج سياقات المعرفة العلمية ، فهي حالة ذهنية تعبر عن مختلف التفسيرات والأحكام والتصورات التي تستند إلى التجربة الشخصية والحدس و المكتسبات المستمدة من المحيط الاجتماعي ، أنها نماذج تفسيرية وانماط تفكيرية يتم استحضارها لفك رموز وقائع حياتية أو في مواجهة وضعيات مشكلة[2]

إننا نعتقد أن المدخل الاسلم لدراسة الظواهر التربوية وتقديم معطيات دقيقة ومثمرة بشأنها هو، استخراجها من الأشخاص الحاملين لها ودفعهم للتعبير عنها باللغة التي يرتاحون فيها والتصريح بمواقفهم منها خلال خلق أجواء من الثقة والارتياح و التعبير التلقائي.

انسجاما مع هذه المنطلقات، أجرينا دراسة استطلاعية اعتمدت الاستمارة والمقابلة الموجهة أداة منهجية لها و استهدفت عينة ضمت 150 فردا من المدرسين والمدرسات الجدد (أفواج 2020 و 2021و 2022) تتباين حيثياتهم الاجتماعية وأوساطهم المعيشية وخلفياتهم المعرفية ، وقد انصب الاستجواب - الذي أجريناه خلال الفترة ما بين أكتوبر 2023ومارس 2024- حول طبيعة الصعوبات التي واجهوها في بداية مشوارهم المهني والحاجات الملحة التي يرونها أساسية لإنجاح مهمتهم ، بالإضافة على طبيعة التقييم الذاتي الذي يمنحونه لأدائهم التربوي خلال مدة ممارستهم المهنية ، وقد جاءت النتائج كما يلي :

[1] المجلس الأعلى للتربية والتكوين، الارتقاء بمهن التربية والتكوين والبحث والتدبير، منشورات المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، تقرير رقم 2018/3، نونبر 2018

[2] Schneeberger Patricia. Place du concept de représentation dans la formation des enseignants : un exemple dans le domaine de la biologie. In: *Spirale. Revue de recherches en éducation*, hors-série n°2, 1997. Représentations en formation. pp. 263-282.

1.3. صعوبات الممارسة المهنية من منظور المدرسين الجدد

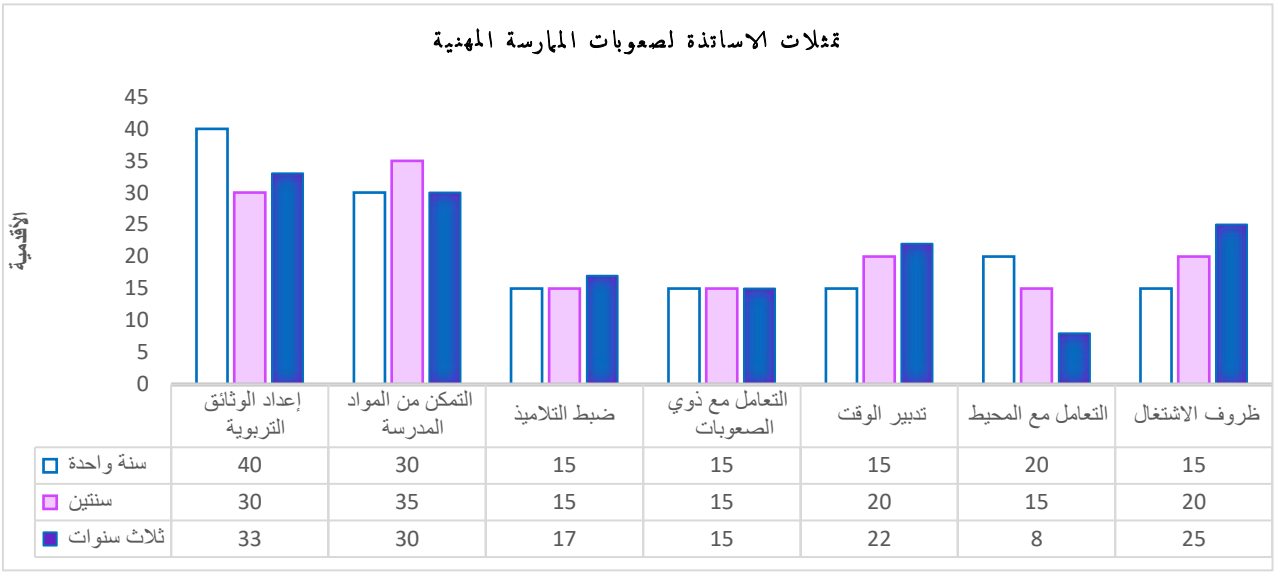

	إعداد الوثائق التربوية	التمكن من المواد المدرسة	ضبط التلاميذ	التعامل مع ذوي الصعوبات	تدبير الوقت	التعامل مع المحيط	ظروف الاشتغال
سنة واحدة	40	30	15	15	15	20	15
سنتين	30	35	15	15	20	15	20
ثلاث سنوات	33	30	17	15	22	8	25

يتضح من المعطيات المستخلصة من الاستمارة الموزعة على الأساتذة الجدد، والتي يمثلها الرسم البياني أعلاه، أن أهم الصعوبات التي تم التعبير عنها، هي بالأساس صعوبات ذاتية أي مرتبطة بالمؤهلات المعرفية والمهارات الوظيفية، حيث شكل إعداد الوثائق التربوية وتحيينها وتنظيمها عائقا كبيرا أمام الأساتذة الجدد، وهو الهاجس الذي عبرت عنه بقوة الأفواج الثلاثة من المستجوبين. مما يفسر، الانشغال الكبير الذي تمثله **الجوانب التوثيقية** في الممارسة التربوية، والهواجس الكبيرة التي تسيطر على المدرسين في سبيل إنجازها وحسن توظيفها ، مما يوشك أن يجعل الممارسة التربوية منكمشة في الابعاد التنظيمية منحصرة في إعداد وثائق الاشتغال وجذاذات العمل . إنه ورغم تقديرنا لأهمية التوثيق في الممارسة التربوية ووظيفته المحورية في تخطيط الفعل التعلمي ومنحه العقلانية وترشيد الجهد وتركيز الفعل، فإن التمثلات حول التوثيق التربوي توشك أن تفرغه من هذه الوظائف وتنحرف به عن مقاصده البيداغوجية، لتجعل منه هاجسا مهنيا وعبئا تدبيرا وإجراءا نظاميا/شكلانيا procédé formel

من الصعوبات التي تم التعبير عنها بشدة، ضعف **التمكن من المعرفة** المدرسية، وهو – في نظرنا- شكل من التقويم الذاتي للأساتذة، يتم استشعاره إزاء الاحتكاك الأولي مع المقررات الدراسية والمحتويات المدرسة، والتي لا يمكن أن ننكر أنها تتسم بالتضخم الكمي للمعارف والتجميع التكاثري للمحتويات كما يغيب فيها التنضيد المنطقي في بناء الكفايات والتنامي الحلزوني في تناول المفاهيم والتخفيف اللازم الذي يراعي الخصوصيات النمائية للطفل وحاجاته النفسية والاجتماعية والذهنية.

تنسجم هذه النتائج – بل وتؤكد – النتائج المحصل عليها بخصوص صعوبة **تدبير الوقت** ، حيث احتلت هذه القضية المركز الثالث ضمن صعوبات المدرسين وانشغالاتهم المهنية، وهي في نظرنا نتيجة طبيعية لإنه يصعب بالنسبة للمدرسين المبتدئين إيجاد الإيقاعات المناسبة لتنزيل برامج مثقلة معرفيا متناثرة منهجيا وكثيفة مضمونيا، في غياب امتلاك المهارات الأساسية والتجربة الكافية لتمييز الأساسي من التكميلي وفرز الأهم عن المهم ، والتركيز على المهارات الأساسية والمعارف الأداتية، بالإضافة إلى إيجاد صيغ مناسبة للاشتغال وفق مبدأ التناوب بين العمل المدرسي والاشتغال المنزلي وبين الأنشطة الفردية والعمل الجماعي والتعليم الصفي والتعلم الذاتي ..

يحيلنا المبيان أعلاه، أن الصعوبات المرتبطة بالعوامل الخارجية – سيما ظروف الاشتغال- عرفت تشتتا مبيانيا واضحا مما يعكس تفاوت حضورها بين أفواج المدرسين ، وهي نتيجة نعتبرها منطقية إحصائيا ، تبعا لتنوع سياقات التعيين وتفاوت ظروف الاشتغال وتباين مناطق العمل .

بالرجوع إلى تحليل التمثلات ، يبدو جليا أن الصعوبات التي يمكن مواجهتها في سبيل إنجاز العمل التربوي ، تجد تفسيرها من خلال ظاهرة "تناقل التجارب والأفكار " بين أجيال المدرسين ، حيث يرجع الأساتذة الجدد –في الغالب- إلى الذين سبقوهم في استلهام التجارب وطلب التوجيه و استمداد الوثائق والأدوات .

بيد أن الغالب في هذه الحالة، أن يعبر السابقون للاحقين عن تذمرهم من كثرة الوثائق وتراكم المهام الشكلية على حساب الانكباب على الصعوبات الدراسية ومواجهة الإشكالات الصفية، وبغض النظر عن صوابية هذه المواقف أو مجانبتها له، إلى أن تأثيرها غالبا ما يكون عميقا وشديد التأثير في قناعات المدرسين الجدد بل ويساهم في توجيه تصرفاتهم وبناء مواقفهم.

تحيلنا التجربة الميدانية المتراكمة والملاحظات المتعددة للممارسات الصفية، أن صياغة الشخصية المهنية وبناء الاختيارات البيداغوجية غالبا ما يتم استلهامه من المحيط المهني القريب أو عبر الاقتداء بنماذج مؤثرة (الاساتذة الذين درس عندهم/ مدرسين تأثر بهم) أو من خلال التأثيرات الاجتماعية (زملاء /أقرباء /وسائط اجتماعية /مجموعات على الواتساب..) . لقد شكل هذا "**الموروث** "من التمثلات و الأحكام والمواقف والسلوكات " **حاجزا** حقيقيا أمام المدرسين الجدد في صياغة شخصيتهم المهنية وعائقا أمام انخراطهم في تجربة البحث عن المعنى والجدوى والأثر في الممارسات المهنية ومن تم الاشتغال الجاد والعميق على التأمل النقدي للممارسات السائدة ومسائلتها وتقييما بغرض الانطلاق في صياغة الشخصية المهنية المتفردة وابداع نماذج مجددة في الفعل التربوي ومبادرات رائدة في الممارسة المهنية ..

2.3. تمثلات المدرسين لمعنى ووظيفة التوثيق التربوي

في استقصائنا لمجموعة من المدرسين الجدد حول معنى ووظيفة بعض الوثائق التربوي (من قبيل المذكرة اليومية والتخطيطات وجذاذات التحضير) ، حيث عبرت الغالبية الساحقة منهم بأجوبة من قبيل :

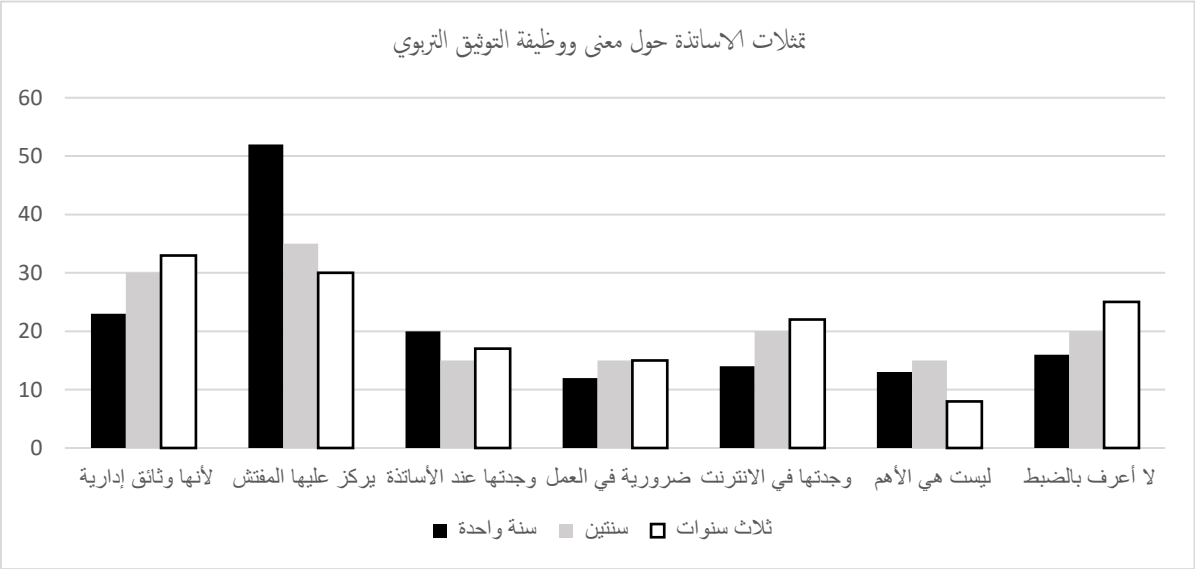

يظهر من خلال المبيان أعلاه، أن موقف الأساتذة من التوثيق التربوي يعرف تباينات واضحا من التعابير والمقولات أو الأحكام و التمثلات، غير أن الموقف البارز – سيما عند الجدد- منهم هو اعتبارها واجبات مهنية يركز عليه المفتش خلال الزيارة وأن إنجازها يكون بالاسا س تبعا لهذه الغاية، فيم تبدأ هذه القناعة تنقص مع مرور السنوات.

يبدو ملفتا أنه ومع تقدم التجربة المهنية، ترتفع قناعات الأساتذة اتجاه الوثائق والابتعاد بها عن الأبعاد التربوية والوظائف الأساسية، واعتبارها مجرد وثائق إدارية أو عادات متوارثة أو إجراءات اعتيادية فاقدة للمعنى والتعليل.

لقد شكلت قضية التوثيق التربوي –على امتداد الممارسات المهنية - واحدة من القضايا المهنية والتربوية التي تشغل اهتمام المدرسين وتطغى على تمثلاتهم للعمل التربوي، بيد أنه لا ينبغي اختزالها في أبعادها الإدارية والتنظيمية، وإنما اعتبارها جزءا من العدة التربوية ومساعدا في تحقيق جودة الفعل التربوي وعقلنته وترشيده مع ما يتطلب ذلك من وجويد لمضامينها وترشيد للجهود في إعدادها وتيسير في توظيفها لتحقق الغاية التربوية منها وتمنحها الأصالة و التجديد والملاءمة للوضعيات التعليمية التعلمية.

3.3. مساهمة البحث التدخلي في تملك مهارات "التبصر المهني "

في سعينا للإجابة عن سؤال "العلاقة الارتباطية " بين التكوين النظري والممارسة المهنية، ورصد أثر البحوث التدخلية على الممارساتهم المهنية للأساتذة بعد التخرج ومدى تمكيهم من تملك مهارات " تبصر الممارسة المهنية " طرحنا سؤالا على العينة المبحوثة مؤداه:

- كيف ترى مساهمة البحث التدخلي -الذي أنجزته في نهاية فترة التكوين- في تمكينك من مهارة "التبصر المهني " و القدرة "على التقويم الذاتي " لأدائك المهني؟ .

ويقدم المبيان أسفله خلاصة النتائج التي أسفرت عنها إجابات المبحوثين:

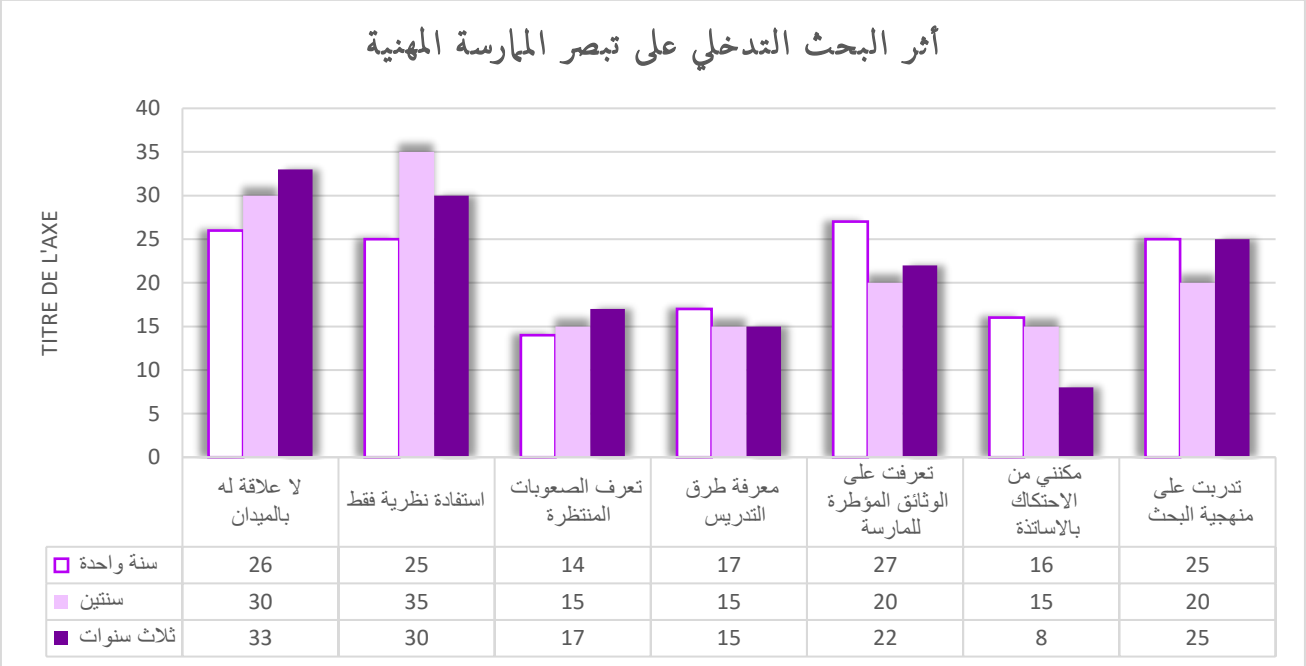

	لا علاقة له بالميدان	استفادة نظرية فقط	تعرف الصعوبات المنتظرة	معرفة طرق التدريس	تعرفت على الوثائق المؤطرة للممارسة	مكنني من الاحتكاك بالاساتذة	تدربت على منهجية البحث
سنة واحدة	26	25	14	17	27	16	25
سنتين	30	35	15	15	20	15	20
ثلاث سنوات	33	30	17	15	22	8	25

يوضح المبيان أعلاه حقائق جديرة بالاهتمام والمناقشة ، وتتعلق أساسا الأبعاد الوظيفية للبحوث التدخلية التي ينجزها الطلبة المتدربون ، وعلاقتها بتطوير مهاراتهم التبصرية وتمكينهم من تملك مفاتيح ممارسة المهنة وقواعد إجادتها ، حيث بدا جليا أن معظم المبحوثين **لا يرون علاقة وطيدة** بين هذه البحوث وبين واقع الممارسة الميدانية ، رغم أن مسمى هذه البحوث وهويتها مرتبط بشكل جوهري بالممارسة الميدانية ، إلا أن معظم المبحوثين يرون أن البحث التدخلي لم يجد بعد طريقه السليم للتجذر في الشخصية المهنية ولم يُلمس له كبير أثر في مساعدتهم على مواجهة الوضعيات المشكلة المهنية ، حيث ساد في أوساط المتدربين – لأسباب متعددة-

أنها مجرد بحوث عادية شبيهة بتلك التي تنجز على صعيد المؤسسات الجامعية والمعاهد التكوينية– أي ما يسمى بمشاريع نهاية التكوين او نهاية المجزوءات PFE-

في حين نرى أنها تشكل – بحق - **بوتقة** تنصهر فيها مختلف الكفايات التكوينية ومشروع تكويني دامج تلتقي فيه مختلف المعارف والمهارات والمواقف المنتظرة من التكوين، أنها -بهذا المعنى- مظهر لتفاعل المتدرب/الباحث مع ميدان الممارسة وانفعال به ومحاولة للفعل فيه . وبمنطق تماثلي analogique مقاربتها بالمفهوم السائد في حقل **سوسيولوجيا الفاعل** من خلال آلية "**الرجوع الفاحص للميدان** " .

إذ هو رجوع إلى خضم الممارسة التربوية لا يمكن أن يكون فيه هذا المدرس/الباحث مجرد متفرج على الاحداث أو جزءا من المشهد المدرسي ، إنما حركة في الزمن التربوي وفعل تأملي في الفضاء التربوي يلبس فيه المدرس جبة البيداغوجي المتسلح بالخلفية العلمية و المُنطلِق من إشكاليات حارقة والباحث عن أجوبة وبدائل عملية . أجوبة وبدائل ليست بالضرورة خلاصات نظرية ولا تحققا من فرضيات مبدئية وإنما هي بحث منهجي رصين وتفكير مبدع -من خارج صندوق الواقع الذي لا يرتفع – في مقاربات ملاءمة ومداخل حاسمة لتطوير الذات و والارتقاء المهني يوازيه مساهمة معتبرة بالنهوض بجودة الفعل المدرسي محليا وتحقيق النجاعة التربية لنظام التربية والتكوين عموما .

4. مداخل لتطوير مهارات "التبصر المهني"

إذا كان من المعلوم أنه لا توجد ممارسة مهنية منفصلة عن الممارس الذي ينجزها والذي من المفترض أن يتملك تمثلات أولية ومعارف جوهرية عنها بالإضافة إلى مهارات للفعل والإنجاز ومواقف واختيارات إزاء ذاته ومهنته والعالم الوظيفي من حوله . من هذا المنطلق، فإنه من غير المقبول عقلا وحسا أن نعمد إلى تغيير الوضعيات وإصلاح بيئات التعلم ونواتج العملية التعليمية التعلمية دون أن نطرق باب الممارس الميداني والفاعل التربوي ، انطلاقا من مسائلة بواعثه الداخلية وحوافزه الشخصية ، مرورا بمؤهلاته المعرفية ومهاراته التنفيذية ، انتهاء بتملكه للحس النقدي الدقيق واستعداداته للتطور الدائم والتعلم الذاتي من خلال تمرسه على ممارسة فعل التبصر المهني والتلقي الإيجابي للتغذية الراجعة التي يمنحها له الفصل الدراسي والمحيط التربوي.

إن إلحاحنا على ضرورة تملك المدرسين الجدد لجهاز "تبصر الممارسات المهنية " ودعوتنا إلى ضرورة تملكهم لحاسة التقويم المستمر لأدائهم واستشعار التغذية الراجعة إليهم من واقع الممارسة، ينبع من قناعة مفادها أنه بفضل الوضعيات الواقعية والمعقدة، يتمكن الممارسون من تطوير كفايات الممارسة التبصرية بإدماج المعارف النظرية والتطبيقية. أو من خلال تطبيق تحليل الممارسات على أرض الواقع بطرق مختلفة (المقارعة

الذاتية المقابلة التوضيحية، التشابهية، إلخ). واستنتاجا لما سبق فيمكن أن يأخذ هذا الفعل التبصري أشكالا متعددة من قبيل :

1.4. التغذية الراجعة المزدوجة

يُعد نموذج التغذية الراجعة المزدوجة أداة فعالة لتطوير التبصر ، حيث يطلب إلى المدرس القدرة على مراجعة أفعاله التعليمية بناءً على التغذية الراجعة من المتعلمين أو الزملاء . ويتمحور هذا النموذج حول التفاعل المثمر مع الأداء التعليمي على مستويين :الأول يركز على النتائج الصاعدة للتدريس (التغذية الراجعة الداخلية)، بينما يتعلق الثاني بالتفاعل الإيجابي مع المعطيات والملاحظات الواردة من المحيط المهني (الزملاء-المدير-المفتش- الآباء- المجتمع المحلي) وهي (التغذية الراجعة الخارجية)

2.4. التعاون المهني

من المهم تشجيع التعاون بين المدرسين الجدد وزملائهم الأكثر خبرة من خلال ورش عمل مهنية أو لقاءات نقاشية .هذا التعاون يوفر للمدرسين فرصة للتعلم المتبادل، ويُعد وسيلة قوية لتعزيز مهارات التبصر من خلال استعراض الممارسات المختلفة وتقييمها بشكل جماعي .المجتمعات التعليمية المهنية يمكن أن تلعب دورًا فعالًا في هذا السياق، حيث تشكل مصدرًا دائمًا للتغذية الراجعة البنّاءة.

3.4. تحليل البيانات والمعطيات التربوية

تحليل البيانات التربوية يوفر وسيلة فعالة لتعزيز التبصر في الممارسات التعليمية .يمكن للمدرسين جمع بيانات حول أداء المتعلمين ومستويات التحصيل لديهم وطبيعة الصعوبات التعلمية ومستوى التقدم في نتائجهم الدراسية) مع الانتباه إلى أشكال مشاركتهم في مختلف الأنشطة الصفية وفعاليات الحياة المدرسية واستثمار ذلك كله في تحديد نقاط القوة والضعف في استراتيجيات التدريس .

إن هذا التحليل الموضوعي والاستثمار المنهجي للمعطيات والبيانات الدراسية من شأنه أن يساعد المدرسين على اتخاذ قرارات مستنيرة تستند إلى أدلة ملموسة، مما يعزز من فعالية العملية التعليمية ويطور مهارات التبصر لديهم.

ISSN30095034/ N° Press 26/2020ص confer.atae@gmail.com

4.4. التعلم من الفشل

التعلم من الفشل هو مكون أساسي في تطوير مهارات التبصر .يتعين على المدرسين الجدد رؤية الفشل ليس كعائق، بل كفرصة لتحسين ممارساتهم .باستخدام أدوات تحليل الحوادث الحرجة، يمكنهم تحديد أسباب الفشل وتطوير استراتيجيات جديدة للتعامل مع المشكلات التي قد يواجهونها في المستقبل.

5.4. التعليم المفردن أو الفارقي

يساهم اعتماد نهج البيداغوجيا الفارقية أو تفيد التعلمات في تطوير مهارات التبصر من خلال اعتماد استراتيجيات تعليمية تتكيف مع احتياجات المتعلمين المختلفة .إذ يفرض هذا النهج على المدرس التفكير بشكل نقدي حول كيفية تقديم المحتوى التعليمي بطريقة تلبي احتياجات كل طالب، مما يعزز من مستوى التفاعل والنتائج التعليمية.

ISSN30095034/ N° Press 26/2020ص confer.atae@gmail.com

الخاتمة

إن تطوير مهارات التبصر لدى المدرسين الجدد هو عملية مستمرة تتطلب نهجًا شاملاً يجمع بين التأمل النقدي والتغذية الراجعة الفعالة واستخدام البيانات بشكل مستمر .تتطلب هذه العملية تدريبًا مكثفًا على التفكير النقدي والمرونة الفكرية، بالإضافة إلى القدرة على التعلم من التجارب الفاشلة وتحويلها إلى فرص للتطور المهني . ومن خلال تبني ممارسات التعاون المهني وتحليل البيانات، يصبح المدرسون الجدد أكثر قدرة على تطوير مهاراتهم التربوية، مما ينعكس بشكل إيجابي على جودة التعليم والفعالية في الفصل الدراسي.

إننا نعتقد أن المسارات المتعرجة التي سلكتها قوافل الإصلاح ببلادنا، وأن النزيف الهائل الذي سببه هدر الموارد والجهود والفرص، لا يمكن تكراره بلا نهاية في مسارات أخرى أشد التواء سيرورات أكثر عتمة وغموضا .

إن من المحاور الرئيسة التي يمكن أن تبنى عليها سكة قطار الإصلاح المُنهك، قد تكون هي الرهان على **المدرس المربي القدوة**: الحامل للرسالة ، المستحضر لجلال المهمة، المتمكن من مادته المتحكم في منهجيته، المتوفز لعمله المتبصر في ممارسته ، الشغوف بالارتقاء بأدائه، المتهمم بجودة تحصيل متعليمه ..

ISSN30095034/ N° Press 26/2020ص confer.atae@gmail.com

البيبليوغرافيا

- رشيد بوسعيد وخالد الدهيبة، (2011)، البحث الإجرائي، مراجعة عبد القادر زكي وميلود احبدو، سلسلة المجزوءات المستعرضة لدعم التكوين من أجل تعلم فعال، ج4، منشورات الوحدة المركزية لتكوين الأطر.
- المجلس الأعلى للتربية والتكوين، (2018/3)، الارتقاء بمهن التربية والتكوين والبحث والتدبير، منشورات المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي
- المذكرة الوزارية رقم 179 بتاريخ 23 دجنبر 2009، في موضوع: إرساء بنيات البحث التربوي على مستوى منظومة التربية والتكوين.
- المذكرة رقم 19015 بتاريخ 04 فبراير 2019 في موضوع: تنظيم البحث العلمي في المجال التربوي بالمراكز الجهوية لمهن التربية
- الهيئة الوطنية لتقييم منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، (2022)، البحث العلمي والتكنولوجي بالمغرب: تحليل تقييمي، منشورات المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي،
- Ahaji, k et autres (2013), « Le développement professionnel des enseignants, dossier rôles et missions d'enseignant », Cahiers de l'éducation et de la formation, N°8-9, publication de conseil supérieur de l'enseignement,.
- Clermont Gauthier, Steve Bissonnette et Jean-Marie Van der Maren, La pertinence de l'utilisation des données probantes en éducation à la lumière des rapports théorie-pratique, Université TÉLUQ, Département Éducation https://rlibre.teluq.ca/3064/1/V18Article%20TP%20et%20donn%C3%A9es%20p
- Schneeberger, P (1997), Place du concept de représentation dans la formation des enseignants: un exemple dans le domaine de la biologie. In: *Spirale. Revue de recherches en éducation*, hors-série n°2.